الجالى وعلم القرى المغرد فوق الغصن المايس لقد فاق الاولون
زمانه وان تاخذ تبيانه فلله دره اذ فاقهم علماً وحكمة وادباً و
خالفهم طريقة وشيمة ومذهباً ومع ذلك اجاد اسعليه بصنعة
التصوير حتى يتعجب المصورون اذ يصور ويهتف الناس انه اعاد
اسم فيه بلاغة المتنبي في الشعر وهادى لوقا المصور فاذا صنع
دهاناً لحير علما الافرنج والروم واذ صور صورة شخصت فيها عيون
الناس يخاطبون الصورة وان لم تخاطبهم اذ يظنون ان فيها امرءاً
اذا خاطبوه يحاورهم فلم يكن ناقص الصورة الا النطق بين الانام
لكن الحسن ينطق عنها دون اللفظ والكلام شعر
ايا من فاق بالتصوير حسناً • سلبت بما صورت من التصوير لبي
غدوت مصوراً ببياض طرس • وانت مصور بسواد قلبي
فتنزه في بديع حسنها الابصار وتتحير من غرايب شكلها الافكار
فحينئذ تهتف الناظرون اليها ليست هذه الصورة شغل انسان
ولا هذا البهاء والرونق من صبغة ادهان
ماذا البهاء ولا ذا الحسن صنعة الادهان كلا ولا ذا شغل انسان
وقد اقتبس من جميع الاشيا ادقها واشرفها واحسنها وافضلها واجملها
فاخرنها اي خزنها داخل صدره الرحيب وباطن لبه الحسيب فكان
باطنه ديانة وظاهره ظرافة ومنطقه حكمة وفكرته فطنة كقول
الشاعر شعر
تفكره علماً ومنطقه حكم • وباطنه دين وظاهره ظرف
فلا زالت شمس معاليه شارقة في برج السعادة وكوكب سعده ساطعاً
في اوج السياده ومرتفعاً شانه ومنخفضاً شان من يشناه ومنشراً
لوايه ومطوياً لوا اعداه ومحفوظاً من نوايب الايام بجاه رب الانام
اما بعد ان جاز سالكم عن حال صبكم مما لاقى من الم الفراق وتعاظم
الاشواق ذاك امر لا يقدر ان يطيقه انسان ولا يستطيع ان
يبثه لسان ولا تحصره كتاب ولا يحصيه كتاب
لو كان يكتب ما القاه من الم • قلق ثمت ووجد ومن شوق ومن
لم يبق في الارض لا لوح ولا قلم • ولا مداد ولا شي من الورق

٥٢
فاني من حين فارقتموني نهاري فكر وليلي سهر وحالي عدم ودموعي
ديم فلا تمد لي علة ولا تخمد لي غلة ولا ياخذني هجوع ولا يسكن لي
دوع فكيف لا يصيبني اعظم من هذا مذ اودعت معكم فوادي وحياتي
وطربي ولذاتي وصحتي وهناي وعزي وعزاي لقد ذوى غصن
صبري مذ قطع عنه وابل وصلكم وفني جسمي مذ بت متقلباً
ليلاً ونهاراً على مقالي نيران هجركم شعر
يا غايبين لقد اضني الجفا جسدي والغصن يذوي لفقد الوابل الردم
هوذا القلب لم يزل من نيران بعادكم في احراق والطرف من فرقتكم بثجاج
الدموع في اغراق والجسم في نحول وسقام والاذن في صمم والعين في
ظلام والفكر في اشتغال والعقل في انذهال
لي عندهم قلب يذوب صبابة • وحشاشة قد اوشكت منها العلم
ايوب بعض بليتي في بعدهم • يعقوب حزني بعد يوسف وحده
فالفكر في شغل بدا والعقل في • ذهل وجسمي وافر فيها الالم
لم تستمع اذناي صوتاً كونها • من بعد درر حديث حبي في صمم
وكذاك عيني بعد نور طلايع الـ • احباب لا زالت بغمض وظلم
وكذا لساني بعد مشرهم وبعد • لم يزل لفظه ونصيم بسكم
ما طاب لي من معشر من بعدهم • لم يصحب اللوها صحيب ذوي الكرم
فاعجب في ذاتي كيف اصبر دون الوصول لديكم والشوق لا يزال
يجذبني الى المسير اليكم لكن كيف مسير من كان له من الاحياء اسم
ومن الموتى جسماً فيكاد اني انسى شوقاً اليكم بنيران الريح مع حبا
واني اتيكم في طي مكتوب لو يدعني الشوق بلا ابطا لكني كلما افكر
بكم تاجج نيران اشواقي وتستقطر دم القلب من احداقي فاخال ان
تطفي منها فاذ بها في الفيضان ولم اعلم انها تضاعفه كما يزيد
استقطار التراب لهيب النيران حتى خمدت من تصاعدها انفاسي
وعدمت من توافرها حواسي وقلت يا ليته يعلم حبي بعدم ما
اقاسي بتذكري بي شوقاً ولم اكن ناسي شعر
يا ليتكم يا حبايب تعلمون بما • جرى لصبكم من بعدكم
فلم تزل تتضاعف نيران اشواقي حتى غيبتني عن الوجود فلذلك

Copyright © King Saud University